الرحمة: من سجايا الشخصية القيادية لنبينا الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) دراسة تحليلية

م. زينب علي عبد
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء

Mercy: One of the Characteristics of Prophet Mohammad (peace be upon him) as a Leader: Analytic Study

Lect. Zaynab Ali Abid
College of Islamic Sciences/ University of Karbala

Abstract

Leadership is very difficult for it demands experience. The more the leader is experienced the more he is successful in his mission. The leader have to be firm and strong to be followed.

Prophet Mohammad did not study how to be a leader and he was never known as a leader. His soldiers obeyed him although he was not stiff or firm with them they did so because of their belief in his message. Prophet Mohammad was so merciful with the hypocrites who were trying to do some damage in his army and he said (Mohammad does not kill his followers). He found excuses to those who committed mistakes and by this he gave lessons in merciful leadership. He was not merciful to his followers only but to his enemies as well especially to the prisoners of war and he ordered his followers not to hurt a woman, a child ,nor an old man.

الملخص

القيادة مهمة صعبة يتطلب النجاح فيها خبرة وممارسة، وكلما كان القائد اكثر علما واغزر تجاربا كان نجاحه في مهمته مضمونا، والقائد يحتاج الى الحزم والشدة ليطيعه الجنود وينفذوا أوامره في الساعات الحرجة،

هذان الامران لم يكونا من مكونات الشخصية القيادية لنبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فهو لم يدرس القيادة ولم يمارسها قبل البعثة الشريفة، وهو ما كان فظا غليظ القلب مع جنوده فهم يطيعوه طاعة خالصة بسبب الاوامر الالهية المتمثلة بآيات كريمات كثيرات، وعلى الرغم من ان البعض من المنافين المندسين في صفوف المسلمين كانوا يحاولون الحاق الضرر بجيش النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا انه كان رحيما معهم وكان يقول (لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه). كان صلى الله عليه وآله تجد الاعذار لمن يخطأ من اصحابه وكان في ذلك معلما لهم يعطيهم دروسا في القيادة السليمة. وتعدت حدود رحمته أصحابه لتصل الى اعدائه، فكان رحيما بالأسرى وكانت توجيهاته الى صحابته الاجلاء تأمرهم بالرأفة بالمرأة والطفل والشيخ الكبير.

لقد كانت تلك السيرة الشريفة للنبي القائد مدرسة تعلم منها الصحابة أسس واساليب القيادة السليمة سواء باختيار القادة أو التوجيهات التي تصدر اليهم أو كيفية ممارستهم مهامهم القيادية، وكانت الانتصارات الباهرة التي حققوها في الفتوحات ثمار الخبرة الكبيرة التي حصلوا عليها من المدرسة القيادية النبوية.

المقدمة

لقد تميزت شخصية نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بمواصفات سامية لا تجتمع عادة في شخص واحد قط، فهو الأمين على أجلّ رسالة وأشرف بعثة، صيّره الله بما حباه من سمات حسنة وصفات حميدة وسجايا رائعة سيدا على بني آدم وفيهم الأنبياء والمرسلين، الا إن الصفة القيادية التي نمت وترعرت في ذاته الكريمة بشكل فطري معززة بالإلهام الالهي والوحي الكريم، هي الصفة الاكثر بروزا، كونها الوسيلة التي تجعل الناس يطيعونه وينجذبون إليه ويسلّمونه مقاليد أمورهم وهم آمنين مطمئنين، ولأن سيرة نبينا الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ينبوعا ينهل منه كل مسلم، وكونه قدوتنا وأسوتنا الحسنة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً–الأحزاب: 21) لذا

فإن هذه السجية التي تميزت بها الشخصية القيادية المحمدية، ونقصد بها الرحمة، هي درس رائع كريم نستنبطه مع كثير غيره، من دروس مدرسة السيرة الشريفة العطرة مما نحتاجه في يومنا هذا الذي اختلطت فيه الامور على البعض من الناس فأساؤوا الى الدين باسم الدين.

فالرحمة المبعوث بها نبينا الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم ليست حكرا لزمان أو عصر، انها صالحة جاهزة لكل الازمنة والعصور، الا أننا هنا نتلمسها بوجه خاص لم يعتد الناس على تلمسها به وبمثله، نتلمسها في شخصية القائد، فالمسلم به ان تكون الصرامة والقسوة والجدية هي سجايا تلك الشخصية لا الرحمة، فكيف يا ترى كانت شخصية نبينا الكريم القيادية التي بَزّت اكبر الشخصيات القيادية في التاريخ وتفوقت عليها تفوقاً بارزاً، وان كانت بلا صرامة، وبدون قسوة، فإذا كانت الشخصية القيادة على وفق مدرسة نبينا مفعمة بالرحمة مترعة بالسماح، فكيف علينا أن نكون فيما بيننا كأفراد في مجتمع إسلامي ننهل من المعين الثر الذي تشكله تلك المدرسة العتيدة؟، هذا ما دعانا الى طرق أبواب هذا الموضوع لنتغلغل في ثناياه طلبا للأجر والثواب، فشفيعنا صاحب الباب التي يلتمس عندها الناس رضا الله وعفوه.

وبهدف إيصال الفكرة بشكل جلي **وسليم فلقد قسمنا البحث الى: المبحث الأول: النبي القائد، والمبحث الثاني: اقباس نيرة من رحمته (صلى الله عليه واله وسلم)، والمبحث الثالث: مدرسة القيادة النبوية**، وقد اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر شملت كتب الحوليات والسيرة والحديث والمغازي اضافة الى بعض المراجع.

المبحث الأول

النبي القائد

وإذا ما كان القادة على مر التاريخ وفي شتى العصور، يمارسون شيئا من الشدة والغلظة ليتحقق لهم تطويع أتباعهم وانصياعهم للأوامر، فإن نهج وسلوك نبينا الكريم قائد الأمة وحاديها صوب الهداية والرشاد، كانا على خلاف مع نهج وسلوك كل من أولئك، فهو تعامل مع الآخرين بقدر لا حدود له من الرحمة والحياء، وهما خصلتان بينهما ترابط وتلاحم.

القيادة

منذ آلاف السنين، والقيادة هدف عزيز لكثير من الناس يسعون لبلوغها وتحقيق رغبات نفسية تعمر دواخلهم استجابة إلى نزوعٍ صوب التسيد والإمرة، حتى اننا نعرف ان مصطلح (استراتيجية)وهو احد المصطلحات الاغريقية يعني(فن القائد)كما عرّفها القائد الإغريقي أوليساندر[1]. ومع أن إعدادا عسكريا حصيفا يرمي الى انتاج قادة عسكريين محترفين لم يكن متحققاً عند العرب، الا أن مترفيهم كانوا ينزعون صوب تولي مهام القيادة في جيوش قبائلهم وأقوامهم.

فالمهارات القيادية وقتذاك كانت وليدة الإبداع الفطري عند من يتولى تلك المهمة الخطيرة، ولعل المثال الأبرز والأعظم هو الشخصية القيادية التي تحلى بها نبينا الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حتى كان بنظر المنصفين من المستشرقين شخصية عظمى لا تزاحمها في مرتبتها السامية شخصية أخرى.

هذا يقودنا تلقائيا إلى تلمس معنى القيادة قبل أن ندلج في لجة البحث لنكون على بينة من أمرنا، ونعرف خطورة تلك المهمة وكيف تعامل معها الرسول الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

القيادة لغة

القيادة مصدر فعله قادَ يَقود قَوداً وقيادة، وإسم الفاعل منها قائد، ويجمع على قادة، والقَوْد نقيض السوق، فالقَوْد من الامام والسوق من الخلف[2].

[1] سليمان: احمد داود، نظريات الاستراتيجية العسكرية الحديثة، ط1، دار الحرية للطباعة، 1988، ص17.
[2] ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت 711هـ)، لسان العرب، دار المعارف-القاهرة بلا ج5 ، ص3770.

القيادة اصطلاحا

ابدع الكثير من الباحثين في مجال وضع تعريف اصطلاحي للقيادة، الا إننا وعقب استعراض لما تيسر من تلك التعاريف نتفق مع التعريف الذي يراها(القدرة الشخصية في التأثير على الآخرين بعيدا عن وسائل الاكراه والسلطة)[1]، فهذا التعريف هو الملائم للحالة التي نسعى اليها ونأمل بأن نوفق في معالجتها. ولقد كانت العرب تستخدم مفردة القيادة اصطلاحا على إشغال رئاسة الجيش، إذ"في حديث علي: قريش قادة ذادة، أي يقودون الجيوش، وهو جمع قائد، وروي أن قصيا قسم مكارمه فأعطى قود الجيوش عبد مناف"[2].

الشخصية القيادية النبوية

على الرغم من أن الله تعالى أنزل في كتابه الكريم العديد من الايات القرآنيات الكريمات التي تأمر وتلزم المسلمين بطاعة الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) ومنها:

(وأطيعوا الله ورسوله لعلكم ترحمون–آل عمران: 132)

(ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين–النساء: 14)

(يا أيها الذين آمنوا، ، ، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم–النساء: 59)

(ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا– النساء: 69)

(ومن يطع الرسول فقد أطاع الله–النساء: 80)

(وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون–النساء: 132).

الا أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يتعامل مع افراد الامة التي تشرفت بأن يكون قائدها تعاملا إنسانيا بما شهد له الباري جل وعلى من خلق عظيم(وإنك لعلى خلق عظيم–القلم: 4)بعيدا عن وسائل الاكراه والسلطة لتكون ممارسته للقيادة على وفق النظرة الانسانية التي احتواها تعريف القيادة اصطلاحا والذي اخترناه ليكون ملائما للحال التي نبحث فيها، فنبينا كان يبدو وكأنه واحدا من رجال امته لا يتظاهر بسلطة أو قوة، فهو يستحي منهم حتى أن الباري جل وعلا نبه رجال الامة الى استحياء نبيهم منهم(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعامٍ غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديثٍ إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق، الاحزاب: 53). وكان حياؤه درساً لكل المؤمنين، فمن صحابته عرفنا انه صلى الله عليه وآله كان أشد حياءً من العذراء في خدرها ليلة عرسها، وبذا فإنه كان المثل الاعلى لكل قادة الناس في كل العصور، فحياء القائد ليس كحياء غيره، إذ أن ذلك يرتب أمورا سلوكية راقية كان نبينا قد أسس لها وهي جديرة بالتقصي والبحث وإنا فاعلون ذلك بعونه تعالى.

الرحمة لغة:

الرحمة: الرِقَّة والتَّعَطُّف، والمَرْحَمَة مثله، وقد رَحِمْتَه وتَرَحَمت عليه. وتراحمَ القوم، رَحِم بعضُهم بعضاً[3]، واسترحم فلانا: سأله الرحمة[4]، والرحمة الرزق[5] (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه) هود–6

الرحمة اصطلاحا:

فإن أفضل من عرفها بسهولة ويسر في هذا المجال هو الجرجاني في تعريفاته، إذ قال عنها(هي إرادة إيصال الخير)[6].

---

[1] العلي، محمد مهنا، منهج الاسلام في السلم والحرب، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، 1412هـ، ص332.
[2] ابن منظور: م. س ج5 ص3770.
[3] ابن منظور، م. س ج3 ص1611.
[4] سعدي ابو حبيب، القاموس الفقهي، ط2، دار الفكر، دمشق-سوريا، 1988، ص145.
[5] (الزبيدي ت1205هـ، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر بيروت، 1994، ج16، ص277.
[6] الجرجاني: علي بن محمد السيد الشريف(ت سنة816 هـ)، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004، التعريف رقم 881 ، ص95.

الحياء من دواعي الرحمة

لقد سُئل رجل بسيط عن الصفة الاوضح في شيخ عشيرته، فوصفه بأنه يستحي، وبذا فقد نظر الحاضرون الى جوهر ذلك الشيخ الذي لا يمكن ان ينحط الى فعل السوء طالما هو يستحي، فهو سيد نبيل في تعامله مع افراد العشيرة التي سيدته عليها، فكيف ونبي الامة يحمل شهادة إلهية بقدر جم من الحياء، كما عرجنا على الاية الكريمة (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم) الاحزاب–53، لذا فهو يداري مشاعرهم ويعلي من شأنهم ويرفع من قيمتهم حتى وإن كان بعض فعالهم يؤذيه أذى غير مقصود.

وعلى أساس من ذلك كله، نجد أن رب العزة يضفي عليه صفات أخرى عرفها فيه صحابته الاجلاء، ولكننا نتلمسها من خلال القرآن الكريم الذي يقول (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، التوبة: 128).

ان مؤديات هذه الاية الكريمة غاية في الاهمية، حتى إن المفسرين ذهبوا بها مذاهب شتى، وهم محقون فيما فعلوه، فهناك من يرى أن النبي الذي يعز عليه مشقتكم كما قال القرطبي، الا أن القرطبي يتصور تصورات كثيرة وهو يفسر ما بعدها، فهو يرى على وفق ما توفرت لديه من روايات، ان ثمة احتمال ان يكون حرص النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، هو انه لا يتمنى ان يدخل المسلمون النار، بينما يذهب الى أن (بالمؤمنين رؤوف رحيم) التي هي لصق باسم الجلالة في آية أخرى(إن الله بالناس لرؤوف رحيم–البقرة: 143)، أو (فإن ربكم لرؤوف رحيم– النحل: 47) ما يعني أن رب العزة أفاض على نبيه مالم يفض على من سواه من الانبياء[1]، بأن جمع له اسمين من أسمائه الحسنى، فأية رحمة كان يطوي عليها القلب الشريف لنبي الامة صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

لقد اخبرنا رب العزة جل وعلا أن نبينا مفعم بالرحمة التي يفيض بها على من يحيط بها دنيويا وليس الامر قاصرا على رغباته صلى الله عليه وآله وسلم في أن ينجو أبناء أمته من النار وحسب، فالعلي القدير يقول (وبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك–آل عمران: 159)، فالرحمة التي عند نبينا هي بعض من رحمة ربنا سبحانه وتعالى، وان تلك الرحمة جعلت النبي الاكرم لينا ذو قلب رقيق، مما يجعلنا لا ننحاز تماما الى ماذهب اليه القرطبي، فالأمر هنا واضح وجلي، إنه انفضاض دنيوي، فيما لوكان النبي، وحاشاه من ذلك، فظاً غليظ القلب.

وقد نجد شيئا من بغيتنا عند مفسر معاصر هو السيد قطب الذي تناول هذه الاية الكريمة شرحا وتفسيرا كما فعل بسور وآيات الكتاب المبين، فهو يقول شارحا مفسرا (هي رحمة الله تعالى نالته ونالتهم فجعلته صلى الله عليه وسلم رحيماً بهم ليناً معهم ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألّفت حوله القلوب ولا تجمَّعت حوله المشاعر، فالناس في حاجةٍ إلى كنفٍ رحيمٍ وإلى رعايةٍ فائقةٍ وإلى بشاشةٍ سمحة وإلى ودٍّ يسعهم وحلمٍ لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجةٍ إلى قلبٍ كبيرٍ يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمّه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا، وهكذا كان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قطّ ولا ضاق صدره بضعفهم البشري ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحةٍ نديةٍ ووسعهم حلمه وبره وعطفه وودُّه الكريم، وما من واحدٍ منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه نتيجةً لما أفاض عليهم صلى الله عليه وسلم من نفسه الكبيرة الرحيبة، وكان هذا كله رحمةً من الله به وبأمته)[2].

ان النتيجة المضمونة والملموسة لفيض الرحمة الذي كان النبي يغدق به على من كانوا تحت لوائه، تمثلت في سلاسة الانقياد التي كان المؤمنون يتحلون بها، وهو نابع من الثقة والولاء، وهما مما عدّهما الباحث العسكري اللواء الركن محمود شيت خطاب من أهم عوامل الحفاظ على المعنويات والتنفيذ السليم للاوامر، وأكثر من ذلك ما يقودنا الى فهم طبيعة التعامل النبوي الكريم مع جنده والنابع من(شخصية قوية ومعرفة للطبع البشري وأصالة الرأي الموزون والتفاهم مع

[1] انظر: القرطبي: محمد بن احمد الانصاري(ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر-بيروت، ج8 ، ص219.
[2] في ظلال القرآن، دار الشروق، ، ط32، القاهرة، 2003، ج4، ص501.

المرؤوسين، عوامل أدبية جوهرية في تنشئة الكفاية العسكرية، فعلى القائد أن يغتنم كل فرصة سانحة للاتصال بمرؤوسيه الآمرين وقطعاته للوقوف على صفاتهم وما فيهم من جدارة)[1].

لقد كان كل ذلك متحققاً متاحاً للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من خلال ديمومة اتصاله ببسطاء الناس بَلَهَ كبرائهم، وكان يسمع منهم كل ما يودّون قوله، ويتفهم شخصياتهم ويتعرف على قدراتهم، لذا رأى، وهذا مثال ودليل على قربه منهم وتفهمه اياهم ورحمته بهم، أنه كان يضع كل رجل منهم في المكان المناسب، فحسان بن ثابت رجل شِعْر، يمدح ويهجو، لا شأن له في القتال، وكان يعرف عنه انه لا يجد في نفسه صمودا في ساحات الوغى، ومراعاة لضعفه ذاك، وحتى لا يفتن فتنطبق عليه الآية التي تقول (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرِ–الانفال: 16) فلقد خلفه النبي مع النساء والصبية وهو ذاهب الى غزوة الخندق[2]

المبحث الثاني

اقباس نيرة من رحمته(صلى الله عليه واله وسلم)

أولا: رحمته بمعيّته:

لابد وقبل أن نتعمق في البحث، أن نقف هنيهة عند مفردة (الرحمة) التي هي محور بحثنا نستنكه مؤدياتها ومعانيها ومجالات استخدامها حتى يسهل علينا بلوغ مأربنا ونحن في مسعى يستلهم السيرة الشريفة.

بينما المراد بالمَعِيَّة هو الرفقة والصحبة، ومعية النبي صحابته من المؤمنين. فلقد كانت سجية الاستحياء عند النبي الاكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والتي نبه الله تعالى المؤمنين اليها تفرز واقعا انسانيا فريدا من نوعه يسود تعامل النبي القائد مع من هم حوله.

ليس اشد ولا أقسى على القائد من أن تقع يده على خائن يتخابر مع العدو الذي يتربص بالأمة شرا فيفشي اخطر الاسرار، وها هو قائدنا ونبينا يقف على خيانة من هذا النمط، تشكل ثلمة في أمن الامة ، فثمة احد افراد الامة الا وهو حاطب بن أبي بلتعة بعث برسالة الى مشركي قريش يبوح لهم بسر خطير الا وهو سر الجاهزية الاستعداد والتهيؤ لتنفيذ عمل عسكري مصيري يقضي بتقدم جيش النبي صوب مكة لفتحها واستئصال شأفة الكفر والفساد منها.

وتفاصيل القصة، أنه لما تهيأ النبي لفتح مكة (وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها، فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا الى قريش يعلمهم الخبر وسيّره مع إمرأة من مزينة، أسمها كنود، وقيل مع سارة، مولاة لبني المطلب تعلمهم الخبر)[3] وأورد أحمد بن حنبل رواية عن الامام علي عليه السلام قال فيها(بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والزبير وأبا مرثد وكلنا فارس، قال: إنطلقوا حتى تبلغوا روضة خاخ[4] فإن فيها إمرأة معها صفيحة من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فأتوني بها، فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تسير على بعير لها، فقلنا لها أين الكتاب الذي معك، قالت ما معي كتاب، فأنخنا بها بعيرها، فأبتغيناه في رحلها فلم نجد فيه شيئا، فقال صاحباي، ما نرى معها كتابا، فقلت لقد علمتما ما كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[5]، (قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها[6]، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا هو من حاطب بن أبي بلتعة الى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال "ما هذا يا حاطب؟" فقال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك

[1] خطاب، م. ن، ص433.
[2] انظر: الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت427هـ)تفسير الثعلبي، تحقيق أبو محمد بن عاشور، دار احياء التراث-بيروت 2002 ج8 ص16.
[3] الطبري، محمد بن جرير (ت 310 هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ط4، مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ، 1983ج2، ص327.
[4] موضع بين مكة والمدينة، النووي: محي الدين(ت676هـ)، شرح مسلم، دار الكتاب العربي ، بيروت-لبنان، 1987م، ج16، ص55.
[5] مسند أحمد، دار صادر بيروت، ج1، ص105.
[6] والجمع عقائص وعقص الشعر ظفره، ابن منظور، م س، مج 4، ص3040 مادة عقص.

من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذا فاتني ذلك من نسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا وارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: صدقكم)[1].

وعندما هم الصحابة بضربه لما عدّوا ذلك الفعل نفاقا من الرجل، فإن رسول الله قال لهم(إنه قد شهد بدرا)[2]. فأنزل الله في حاطب(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة–الممتحنة: 1)كما ذهب القرطبي في ذكره لأسباب نزول الآية الكريمة[3].

لقد كانت سجية الرحمة عند رسول الله تجعله يلتمس عذرا لحاطب دون ان يضع سوء الظن في مقدمة حساباته، فيما لا نجد قائدا سواه ينظر الى أمر كهذا بتلك السماحة وبفيض الرحمة اللتين كان الرسول الاعظم يتعامل مع الواقعة على وفقهما.

وثمة حادثة ذات تأثير شخصي، تتمثل فيما رواه أنس بن مالك الذي يقول (كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه إعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتقه قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت اليه فضحك، ثم أمر له بعطاء)[4]. من هنا نرى أنه صلى الله عليه وآله وسلم يعاني من رجال هذا المجتمع الذي لا يردعه حتى الامر الالهي الذي يحض على طاعة الرسول، بقدر ما يسعى وراء المال والمكسب الدنيوي، وكانت ثمرة معاناته كقائد للامة، أن جعل هؤلاء الرجال يرعوون عن غيهم ويدلجون باحة الايمان.

ويرى كاتب معاصر أن النبي (أرحم بكعب بن مالك من كعب نفسه، وأرحم بعيال كعب من رحمته هو بعياله)[5]، وذلك تعليقا على حادثة شهيرة، حاول كعب بن مالك ان يتوب عن اثم تخلفه عن اللحاق بركب الجهاد الذاهب الى تبوك[6] فرأى ان يهدي ماله كله لله ولرسوله فقال له الرسول (أمسك عليك بعض مالك)[7].

ثانيا: رحمته بعدوه:

عادة ما يكون القائد الذي يعد العدة لملاقاة عدو، مفعما بالكراهية وحب الانتقام، ويحاول أن يغذي جنده من ذينك الامرين ما استطاع الى ذلك سبيلا، فإذا ما كتب له النصر، فإنه وجنوده سيعملون على اذلال العدو وربما استئصال شأفته، وإذا ما انهزموا، فإن الروح العدوانية ستتلبسهم وسيكون السلوك أشد قسوة.

هذا الرأي نخلص به كحصيلة القراءة الواعية لكم وافر من الصراعات التي سجلها تاريخ البشرية منذ عرف الناس الحرب، الا أن تلك التأثيرات لم تكن متحققة في فكر وعقل قائد الامة ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتقدم حشود المجاهدين المؤمنين ليتقحم عرصات الحرب ويخوض غُمارَها في سبيل الله تعالى ونشرا لرسالته الكريمة.

تلك الرحمة التي أفاض بها نبينا على جند العدو، لم تكن مسبوقة بمثال، وهو ما دعا أول أسير أسره المسلمون من جند (سرية نخلة) في رجب من ثاني سني الهجرة الشريفة الحكم بن كيسان لأن يسلم ويحسن اسلامه، إذ انه لما وقع بين ايدي المسلمين، أراد عبد بن جحش الاسدي أمير السرية ضرب عنقه الا أن المقداد بن عمر طلب منه ان يقدموا به على رسول الله صلى الله عليه وآله[8] ليرى فيه رأيه، وهناك في حضرة النبي الاعظم، لمس الحكم فرط الرحمة التي افاض به

---

[1] الشافعي: عبدالله محمد بن ادريس ت(204هـ)، الام، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، 1983، ج4، ص264؛ البخاري(ت 256هـ) صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ج8، ص54.

[2] الشافعي، م. ن، ج8، ص54.

[3] انظر: م. س ، ج18 ، ص46.

[4] البخاري: م. س ، ج4، ص60.

[5] السرجاني: راغب الحنفي، الرحمة في حياة الرسول، رابطة العالم الاسلامي، المركز العالمي للتعريف بالرسول) 2006 المملكة العربية السعودية، ص162.

[6] سنة تسع فيها غزوة تبوك قال ابن اسحق: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فصالحه صاحب ايله وكتب له رسول الله كتابا ، قال ابو الحسن: خرج في غرة رجب، وفي غزوة تبوك قصة الثلاثة الذين خلفوا، كعب بن مالك ، هلال بن امية ومرارة بن الربيع؛ ابن خياط: خليفة العصفري(ت240هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر –بيروت، 1993م، ص56.

[7] السرحاني، م. س، ص162.

[8] ابن سعد: محمد (ت230 هـ)الطبقات الكبرى، دار صادر-بيروت، ج4 ، ص137.

نبينا عليه، فما كان منه الا أن يسلم على اليد الكريمة لنبينا ، ثم صار مهاجرا الى الله تعالى مقاتلا في سبيله حتى استشهد في يوم بئر معونة[1] في رابع سني الهجرة[2].

لقد صار اغداق الرحمة على المشركين الاسارى وهو ما أسس له قائدهم الكريم، سياقا يتبعه جند النبي(صلى الله عليه واله وسلم)، ولعل ما فعله النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في بدر، كرس ذلك السياق ورسخه، إذ كان يمن على الاسرى بالحرية.

وعدا عن الاسرى، فإن محمد مهنا العلي يذكرنا بواقعة تفيض رحمة وانسانية، وضع خلالها نبينا الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم سياقا من سياقات الرحمة في التعامل مع الاعداء في الحرب أن لا تقتل امرأة ولا صبي[3]. فنجد عند ابن هشام أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لما تطوع نفر من المسلمين لقتل سلّام بن أبي الحقيق بخيبر[4]، فإنه (نهاهم عن أن يقتلوا وليدا أو إمرأة)[5]، وبينا هم يضربون عدو الله بأسيافهم، فإن امرأته كما أورد ابن هشام رواية لأحدهم، صاحت بهم(فجعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكف يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل)[6].

وعندما مر صلى الله عليه وعلى آله وسلم بامرأة (قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصفون[7] عليها، فقال "ما هذا" فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبعض من معه "أدْرك خالدا فقل له إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهاك أن تقتل وليدا أو امرأة أو عسيفا"[8])[9].

ولقد بلغت رحمته بأعدائه حدودا ما بلغتها انسانية قائد سواه، لا ممن سبقوه ولا ممن اقتفوا أثره، إذ يقول السرجاني في هذا الأمر(لقد رق قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لامرأة أسيرة فأرسل أحد جنوده الى بلد بعيد ليأتي لها بابنها، حتى يهدأ بالها وتجف دموعها)[10]وتفصيل مقتضب لقصة تلك المرأة نقول (أن سبيا قدم عليه من البحرين، فصفّوا بين يديه، فنظر الى امرأة منهم تبكي فقال "ما يبكيك؟ "قالت: كان لي ولد بيع في بني عبس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، "ومن باعه" قالت: أبو أسيد الانصاري، فغضب رسول الله وقال "لتركبن فلتجيئن به كما بعته" فركب أبو أسيد فجاء به)[11]، وكان الجمع بين أسر الاسرى ديدنه النابع من فيض الرحمة التي تغمر قلبه الشريف، وللاستزادة نذكر رواية أخرى يوردها المغربي، يقول فيها(أنه بعث زيد بن حارثة[12] فأصاب سبيا فيهم ضميرة مولى علي عليه السلام، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيعهم، ثم خرج فرآهم يبكون، فقال "مالهم يبكون؟ "قالوا: فرق بينهم وهم أخوة، قال "لا تفرقوا بينهم، بيعوهم معا")[13].

---

[1] سنة اربع كانت غزوة بئر معونة، ابن شهر اشوب: مشير الدين بن عبدالله(ت588هـ)، مناقب ال ابي طالب، تحقيق وتصحيح ومراجعة: لجنة من اساتذة النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية-النجف، 1956م، ج1، ص168، وحسب الروايات ان اهل بئر معونة غدروا بسبعين من القراء الذين ارسلهم الرسول(ص)لهذه المنطقة ليعلموا الناس القران واحكام الدين، انظر: ابن حنبل، م. س، ج3، ص109؛ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر(ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988 ، ج6، ص125، باب غزوة بئرمعونة

[2] انظر، ابن الاثير: عز الدين(ت 630 هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي -بيروت ، ج2، ص37.

[3] العلي، م. س، ص344.

[4] خروج النبي ص الى خيبر في اول سنة سبع-وقيل-يوم خيبر يوم سنة ست، وخيبر بليدة على ثمانية برد من المدينة، الذهبي: شمس الدين ابو عبدالله محمد(ت748هـ)، تاريخ الاسلام، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1987م، ج2، ص403.

[5] ابن هشام، ابي محمد عبد الله (ت218هـ)سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مراجعة وضبط محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بلا، ج3، ص314.

[6] ابن هشام، م. ن، ص315.

[7] تدافعوا وازدحموا، ابن منظور، م. س، مج5، ص3654، مادة قصف.

[8] العسيف الاجير المستهان بهابمن منظور، م. س، مج4، 2943 ، مادة عسف.

[9] م. س، ج4 ص ص90-91.

[10] السرجاني، م. س ، ص329.

[11] المغربي: القاضي النعمان(ت363 هـ)، دعائم الاسلام، تحقيق: آصف بن علي، ط2، دار المعارف بمصر، ج2، ص60.

[12] تبنى النبي ص زيدا ودعاه ابنه وكانت العرب تفعل ذلك يتبنى الرجل مولاه او غيره فيكون ابنا له يوارثه وينتسب اليه حتى نزلت الايه- اذ عزهم لابائهم- فرجع كل انسان الى نسبه، النووي، م. س، ج15، ص195؛ استشهد في معركة مؤتة وكان احد ثلاثة قادة حملوا لواء المسلمين في هذه المعركة ، انظر: ابن حجر: شهاب الدين ابن حجر العسقلاني(ت852هـ)، فتح الباري، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د. ت، ج10، ص447.

[13] المغربي، م. ن، ج2 ، ص60.

ولقد وضع صلى الله عليه وعلى آله وسلم قاعدة لا يجوز لمسلم غض الطرف عنها أو تجاوزها، فهي ملزمة في مجال اختصاصها، وهي حديثه الشريف (من فرق بين والدة وولدها، فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة)[1]، من هنا نجد ان فقهاء المسلمين تلقوا ذلك درسا، وعلى أساسه (اتفق الجميع على منع القصد إلى قتل النساء والولدان، أما النساء فلضعفهن، وأما الولدان فلقصورهم عن فعل الكفر، ولما في استبقائهم جميعا من الانتفاع بهم إما بالرق أو بالفداء فيمن يجوز أن يفادى به)[2]، في حين نجد أن حروب بني اسرائيل التي وردت في الكتب التي يقدسونها، تعج بذبح الصبية والنساء وحتى الحيوانات، وتتباهى تلك الكتب التي كتبها احبارهم بتلك الافعال[3].

المبحث الثالث

مدرسة القيادة النبوية

لا خلاف في أن السيرة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الاسلامي، فالحق يقول(وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا–الاحزاب: 7). فنبي الرحمة كان قد وضع القواعد والاسس لرقي المجتمع في كل مجالاته، مما لم يرد فيه نص قرآني، ولأن الحرب كانت وما تزال، الجانب الاخطر في حياة المجتمعات، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم جعلها تسير على وفق نهج الرحمة الذي أرسل لارسائه وهداية الناس اليه.

كانت المهمة النبوية الاولى تتجسد في انتقاء القادة وإعدادهم بما يتلاءم ونظرته الانسانية المفعمة بالرحمة لجانب الحرب، فالقيادة مهمة غاية في الصعوبة في وقتنا الراهن حيث كل المساعدات والمسهلات متيسرة وفي متناول القيادات العسكرية العليا لإعداد القادة الميدانيين فما بالك في زمن النبي حيث تنعدم كل تلك المساعدات والتسهيلات.

أن النقطة الاساس التي تعلمناها من النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم هي ضرورة أن يكون لكل جماعة مهما صغرت قائدا يأتمرون بأوامره، لذا فهو يقول(إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم)[4]، مما يجعل من القيادة ضرورة وواجب شرعي لامجال للتساهل في الاهتمام به.

انتقاء القادة

في الزمن النبوي، لم يكن هناك سياق معتمد لإعداد قادة جيوش تلك الازمان، لذا كانت القيادة نزعة فطرية تتولد عند البعض، تصقل في ميادين القتال التي تجد القبيلة نفسها على صعيدها، وهناك تكتشف الكفاءات وما تختزنه دواخل الرجال من قدرات كل على قدر قدرته وطاقته.

والدرس الذي تركه نبينا لنا هنا في مسألة الانتقاء السليم والصحيح للقادة يقوم على أساس حديثه الشريف الذي جعل تلك المسألة أمانة في أعناق القادة الاعلى وهم يقررون ويختارون من سيولوهم مناصب القيادة إذ يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس، علم أن في العشرة أفضل ممن استعمل، فقد غش الله ورسوله وغش جماعة المسلمين)[5]. وبذا يكون الرسول الاعظم قد جمع في القائد(الكفاءة وحب الرجال له)[6].

---

[1] العسقلاني: أبو الفضل شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن حجر(ت 852هـ)الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق وتصحيح وتعليق: عبد الله هاشم اليماني، دار المعرفة-بيروت، بلا ، ج2 ص152.

[2] الجكني: الامين محمد محمود، مجلة البحوث الاسلامية، التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الاسلام، ع 87، السعودية، 1430هـ، ص356.

[3] ظ: سفر يشوع بن نون، فهو مثال على ذلك.

[4] الطبراني: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد(ت360هـ)، المعجم الاوسط، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين ، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1995، ج8، ص100.

[5] الزبعلي: جمال الدين(ت762هـ)، نصب الراية، تحقيق: ايمن شعبان، ط1، مطابع الوفاء-المنصورة، مصر، 1995، ج5، ص38؛ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت 911هـ)، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1981، ج1 ، ص455.

[6] محفوظ: محمد جمال الدين، سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في القيادة وإدارة الحرب، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، ع3 1988، ص279.

ولقد أرست المدرسة النبوية في القيادة قواعد انتقاء لم يكن العرب يعرفونها، فالنبي الاكرم عيّن بلالا رضي الله عنه واليا على المدينة، وفيها من فيها من والانصار المهاجرين، وولى أسامة بن زيد قيادة جيش كان فيه أبو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة[1].

فالواضح البين والامر الملموس في هذا الحديث، أن القيادة بنظر نبينا الاكرم هي امانة بيد من ينصب القادة كما أسلفنا، وهي عقد بين القائد ومن يقودهم، عليه أن يكون محبوبا بينهم حتى يحبونه، فإذ ما فقد حبهم، أخل بذلك العقد وعليه أن يترك منصبه وإلا فإنه يضحي بعماد دينه(الصلاة)التي ان قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها، وهل يظل المسلم على دينه وصلاته لا تقبل، وهو يدري انها لا تقبل؟.

ولا يشك أحد في أن الشخصية القيادية لنبينا الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم كانت تسبر اغوار الرجال ليقف عند الاكفأ في توليهم القيادة، كيف لا وهو يلزمنا على أن نختار الاكفأ والاجدر كما عرفنا من حديثه الذي مر بنا آنفا، من هنا رأى البعض أن اناطة النبي مسؤولية القيادة بشخص ما انما هو شرف كبير، فهذا الرجل انما اختاره النبي الاكرم لمهمة لا تناط بأي كان، نتلمس ذلك من حوار دار بين رافع بن أبي رافع الطائي وأبي بكر، إذ قال ابو رافع (أما الامارة فإني رأيت الناس لا يصيبون هذا الشَّرف وهذه المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وآله الا بها.)[2].

لذا فإنه كان يقرر على تولية منصب القائد لصاحب الدين كونه الاكثر رحمة والاقدر على تحقيق الانسنة التي يريدها الاسلام للحرب حتى صار عقد النبي للواء لأحد صحابته وتأميره على جيش ما شرفا لا يدانيه شرف، فهو يأمر القائد أن يكون أمينا على ما تحت يده من ناس(الأمير يأتي يوم القيامة يداه مغلولتان الى عنقه، فلا يفكهما الا عدل أقامه)[3]. فعلى القائد أن يكون قائما بالقسط على ما أؤتمن عليه، إن كان يريد لقاء ربه ونبيه بوجه أبيض يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم.

وكان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ينزعج ويتبرم من فعال لا تعكس رحمته ولا تراعي توجيهاته، فلقد تبرأ من فعال ارتكبها خالد بن الوليد الذي أمّره النبي على سرية متوجهة الى بني جذيمة، فلما استسلم القوم وألقوا سلاحهم(أمر بهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل منهم جماعة وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخبر فقام قائما رافعا يديه الى السماء وقال "اللهم إني ابرأ اليك مما صنع خالد" ثم دعا عليا وقال "يا علي اخرج الى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك "ودفع اليه مالا وقال له"إعقل لهم من قتل منهم وارجع اليهم ثمن ما أخذ منهم وأنصفهم")[4].

ففعال القادة الميدانيين يجب ان تكون تحت مجهر قائدهم الاعلى يتفحصها ويرى رأيه فيها، خصوصا عندما تخرج على نهج وسياق الاوامر العليا المفعمة رحمة والمترعة انسانية،

نفهم من مثال خالد بن الوليد، أن القائد ليس مسؤولا عن جنوده فحسب، وأنما هو مسؤول عن الناس الذين سيقاتلهم أو يسبيهم أو يحتل بلادهم ومن ثم يناط به أمر أدارة تلك البلاد، وهذا من الامور التي لم يكن أولي الامر في القرون الماضية يعيرونه اعتبارا، وانما صار من العلوم والفنون التي تدرس في الاكاديميات العسكرية الحديثة، فأي سبق كان قد حققه نبينا الكريم وهو يرسي أسس القيادة والادارة السليمة للجيوش وللناس وللأراضي المحتلة من قبل القادة الميدانيين بما يضمن التعامل الانساني الرحيم. إن ذلك ليس سوى صورة من صور السمو والرقي الذي اراده نبينا لامته وهو يعلمهم مالم يكن الناس يعرفونه وقتذاك.

---

[1] انظر: ابن البراج: القاضي عبد العزيز الطرابلسي(ت481هـ)، المهذب، تحقيق: مؤسسة سيد الشهداء، 1406، ج1، ص12.
[2] الواقدي، محمد بن عمر بن واقد(ت 207 هـ)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دانش الاسلامي، 1405 هـ ، ج2، ص 771-772.
[3] النابلسي: عبد الغني(ت1143هـ)، تعطير الانام في تعبير المنام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي-القاهرة1940 ، ج1 ، ص23.
[4] المغربي: القاضي النعمان(ت363 هـ)، شرح الاخبار، تحقيق: محمد الحسيني ، ط2 ، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامي، 1414 هـ، ج1، ص310.

العناية بالرعية

فعلى الرغم من الانتقاء الحصيف الذي كان قادة جيوش النبي(صلى الله عليه واله وسلم) يؤمّرون على وفقهم، الا أن نبي الرحمة كان يضع الاسس السليمة والقواعد القويمة التي تحكم سلوكهم وإداءهم.

وأن كنا قد ناقشنا حديثي امرة عشرة رجال، فإن من الملائم ان نعود الى التذكير بهما في هذا الموضع، وخاصة حديث (ما من أمير يؤمّر على عشرة الا سئل عنهم يوم القيامة)[1]، فلا جدال في أن الجندي أمانة في عنق قائده، عليه أن يحسن اليه ويعامله بإنسانية، وأن يهيئ له الغذاء والعلاج والمأوى والراحة وان يعدل بين جنوده، وأن لا يقامر بحياة أي منهم أو يشق عليهم بما لا يجدون ملجأ منه الا الله، عندها يكون القائد ظالما لا يشفع له عند الله شيء غير العمل الصالح الذي غادره وقت توليه قيادة الناس.

ولعل ما يكمل فهم مراد ذلك الحديث حديث مماثل ولكنه أكثر تفصيلا، يقول فيه سيد الاولين والاخرين صلى الله عليه وآله وسلم (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فأرفق به، ومن شق عليهم فأشقق عليه)[2]، فأي درس أبلغ من ذلك يحتاجه القادة ليسيروا على الطريق السليم القويم مستلهمين روح الرحمة التي اراد نبينا اشاعتها بين الناس، ولعل الحديث الشريف الاكثر شمولا والذي يقول فيه (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته)[3] هو الاوسع نطاقا والاشمل احتواء، إنه يعبر ويتجاوز مناصب القيادة والامرة ليشمل المرأة في بيتها والرجل في أسرته والمدير في دائرته والمعلم في مدرسته، وكل من له جماعة يتأمر عليهم مهما كانت طبيعة عمله أو صفة أدائه. ولأن فعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي الشق الآخر في السيرة بعد أحاديثه الشريفة، فإن جابر بن عبد الله الصحابي الجليل رضي الله عنه يحدثنا عن فعل النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقود المسلمين في صفحات الجهاد(كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتخلف في المسير فيزجي الضعيف ويردف ويدعو لهم)[4]. فتلك كانت بعض خلق قائدنا ونبينا، يمارس الرحمة ويأمر بها ويبشر القائد الذي لا تجد الرحمة الى قلبه سبيلا بحساب الهي عسير.

طاعة أولي الأمر

وإذا ما اقتصرنا في تلمس الدروس النبوية في مجال القيادة على من يتولى القيادة، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم تناول شطرا آخر في عملية القيادة، الا وهو الانسان المرؤوس، فعلى الناس أن يطيعوا قادتهم ممن عرفوا صلاحهم ودينهم والذين يأمرون بالعدل والمعروف وينهون عن المنكر، فهذا حديث شريف يحكم علاقة المعية بالقائد حيث يأمر النبي الاكرم بالسمع والطاعة لمن هو قائم على امور الناس بالعدل(السمع والطاعة حق واجب مالم يأمر بمعصية فلا طاعة)[5]. ان ذلك الحديث الشريف يأتي شارحا مفسرا لقوله تعالى(وأطيعوا الله ورسوله وأولي الامر منكم–النساء: 59).

رؤية نقدية معاصرة

هذا هو نهج نبينا وقائد أمتنا، وما أراد لنا أن نسلك، ومع ذلك فإننا نجد اليوم من يضع نهجا عنيفا يتعامل به مع ابناء دينه، فيذبح ويهجر باسم الدين الذي جاء به نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو إما لم يطلع على السيرة الشريفة، أو أنه قرأها قراءة خاطئة أودت بما عنده من دين وأوردته موارد الردى والهلاك.

ولعل ما نلمس من متابعة سلوك قادة المسلمين، بعدا شاسعا عن هدي السيرة، فأين وصاياه للقادة وأين أحاديثه التي تخص من أمّر على عشرة رجال أو أكثر، وغير ذلك من أحاديث شريفة مما يجب أن تكون نبراسا ومصدر الهام لكل قائد وحاكم يرتجي رحمة ربه وشفاعة نبيه، لقد غاب عن التطبيق نهج الشخصية القيادية الرحيمة التي اسس لها نبينا، ونحن في خضم المهالك، ليس أمامنا الا أن نستعيد صور تلك السيرة الشريفة ونتمنى على قادتنا ان ينهجوا على وفق معطياتها.

---

[1] النووي: محي الدين(ت676هـ)، روضة الطالبين، تحقيق: عادل الموجود، دار الكتب العلمية -بيروت، ج1، ص72؛ الهيثمي، م. س، ج5، ص208.

[2] الطبراني: م. س ج9 ص173

[3] مسلم: ابو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري(ت261هـ)، الجامع الصحيح ، دار الفكر-بيروت-ج6 ، ص8.

[4] البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(ت458 هـ)، السنن الكبرى، دار الفكر-بيروت ، ج5 ، ص257.

[5] مسلم، م. س ، ج3 ص69

الخاتمة

لقد كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، قائدا بالفطرة المعززة بالإلهام والوحي الالهيين، وكانت طاعته مفروضة بحكم التنزيل الكريم، ومع ذلك فإنه وهو الذي وصفه رب العزة بالرحمة والرأفة كان يتعامل بما وصفه به الله تعالى مع كل من اقتدى به وسلك سبيله، ولم يقتصر الامر عند ذلك، فلقد كانت رحمته بأعدائه ملموسة جعلتهم يراجعون انفسهم فيما يعتقدون فيميلون الى الاسلام ويعتنقونه،

كل ذلك، صيّر نهج نبينا وقائدنا مدرسة تتعلم منها الاجيال سواء في انتاج القادة، أو توجيه أولئك القادة وجهة صحيحة ترضي الله تعالى وتتماشى مع السلوك القويم الذي دعا اليه الاسلام،

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(1) ابن الاثير: عز الدين(ت 630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي–بيروت، د.ت.

(2) البخاري: (ت 256هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1981

(3) البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(ت458 هـ)، السنن الكبرى، دار الفكر–بيروت، د.ت.

(4)ابن البراج: عبد العزيز القاضي الطرابلسي(ت481هـ)، المهذب، تحقيق: مؤسسة سيد الشهداء، 1406

(5) الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت427هـ)، تفسير الثعلبي تحقيق أبو محمد بن عاشور، دار احياء التراث–بيروت 2002

(6) الجرجاني: علي بن محمد السيد الشريف (ت سنة816هـ)، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دارالفضيلة، القاهرة، 2004، التعريف رقم 881

(7) الجكني: الامين محمد محمود ، مجلة البحوث الاسلامية، التوجيهات النبوية في الجهاد ونشر الاسلام، ع 87، السعودية 1430هـ.

(8) ابن حنبل: أحمد(ت سنة 241 هـ) مسند أحمد، دار صادر بيروت، د.ت.

(9) ابن حجر: شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، فتح الباري، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

(10) ابن خياط: خليفة العصفري(ت240هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، 1993م، ص56.

(11) خطّاب: محمود شيت، الرسول القائد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع–بيروت ط6، 2002م.

(12) الذهبي: شمس الدين ابو عبدالله محمد(ت748هـ)، تاريخ الاسلام، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م.

(13) الزبعلي: جمال الدين(ت762هـ)، نصب الراية، تحقيق: ايمن شعبان، ط1، مطابع الوفاء–المنصورة، مصر، **1995م.**

(14) الزبيدي ت1205هـ، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر بيروت، 1994م.

(15) ابن سعد: محمد (ت230 هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت، د.ت.

(16) السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت911هـ)الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1981م.

(17) السرجاني: راغب الحنفي، الرحمة في حياة الرسول، رابطة العالم الاسلامي، المركز العالمي للتعريف بالرسول)، المملكة العربية السعودية، 2006م.

(18) سليمان: احمد داود، نظريات الاستراتيجية العسكرية الحديثة، ط1، دار الحرية للطباعة والنشر، 1988م.

(19) **سعدي:** ابو حبيب، القاموس الفقهي، ط2، دار الفكر، دمشق–سوريا، 1988م.

(20) **الشافعي:** عبدالله محمد بن ادريس ت(204هـ)، الام، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، 1983م.

(21) الطبراني: الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد(ت360هـ)، المعجم الاوسط، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين ، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1995م.

(22) الطبري: محمد بن جرير (ت 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ط4 ، 1983م.

(23) ابن شهر اشوب: مشير الدين بن عبدالله(ت588هـ)، مناقب ال ابي طالب، تحقيق وتصحيح ومراجعة: لجنة من اساتذة النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية–النجف، 1956م،

(24) العسقلاني: أبو الفضل شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن حجر(ت852هـ) ، الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق وتصحيح وتعليق، عبد الله هاشم اليماني، دار المعرفة–بيروت، د.ت.

(25) العلي: محمد مهنا، منهج الاسلام في السلم والحرب، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، 1412 هـ،

(26) القرطبي: محمد بن احمد الانصاري(ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر–بيروت، د.ت.

(27) قطب: السيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، القاهرة، 2003م.

(28) مسلم: ابو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري(ت261هـ)، الجامع الصحيح، دار الفكر–بيروت، د.ت.

(29) المغربي: القاضي النعمان(ت363هـ)، دعائم الاسلام، تحقيق آصف بن علي، ط2، دار المعارف بمصر، **د.ت.**

(30) ـــــــ، شرح الاخبار، تحقيق محمد الحسيني ط2 مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي 1414هـ.

(31) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي جمال الدين(ت 711هـ)، لسان العرب، دار المعارف–القاهرة، د.ت.

(32) محفوظ: محمد جمال الدين، سنة الرسول صلى الله عليه وسلم في القيادة وإدارة الحرب، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، ع3 ، 1988م.

(33) النووي: محي الدين(ت676هـ)، روضة الطالبين، تحقيق: عادل الموجود، دار الكتب العلمية –بيروت، د.ت.

(34) ـــــــــــــ ، شرح مسلم، دار الكتاب العربي ، بيروت–لبنان، 1987م.

(35) ابن هشام: ابي محمد عبد الله (ت218هـ)، سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مراجعة وضبط الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

(36) الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر(ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت 1988م.

(37) الواقدي: محمد بن عمر بن واقد(ت 207هـ)، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، دانش الاسلامي، 1405هـ.

(38) المجمع العلمي للكنائس، الكتاب المقدس، بيروت، 1990.